

احتجاز جثامين الشهداء: جريمة إسرائيلية من دون قاع

هذه قصة عن جريمة من دون قاع.. قصة نعتقد في كل واحدة من محطاتنا أننا وصلنا قاع السادية الوحشية، فنذكرنا الاستعمار مرة أخرى بانعدام حدود عدوانيته الجنونة، وحيث نعتقد أن جريمة إعدام طفلة بنباب المدرسة هي ذروة المأساة، ثم نكتشف أنها ليست إلا البداية.. أكثر من 200 شهيد في فلسطين منذ تشرين أول/ أكتوبر 2015، نحو ربعهم من الأطفال تحت سن البلوغ، قتلوا برصاص الإسرائيليين، لتلحق ذويهم من بعدهم إجراءات قمعية عقابية مروعة، بدءاً من سحب تصاريح لم الشمل من العائلات المقدسية وطردها للضفة، وإعلان إسرائيل نيتها بدء تهجير عائلات الشهداء إلى قطاع غزة، مروراً باعتقال الأقارب وهمد البيوت، وحتى إغلاق بيوت الشهداء عن طريق سكب الإسمنت المسلح داخلها، لكن هذه الممارسات كلها، ورغم بشاعتها وعدوانيتها، تصبح هامشية حين تسلب العائلات أكثر حقوقها الإنسانية جذرية، وتضرب بأشد نقاط حساسيتها الإنسانية والفريزية الطبيعية: احتجاز جثامين أبنائهم، ومنعهم من وداعها ودفنها بكرامة واحترام.

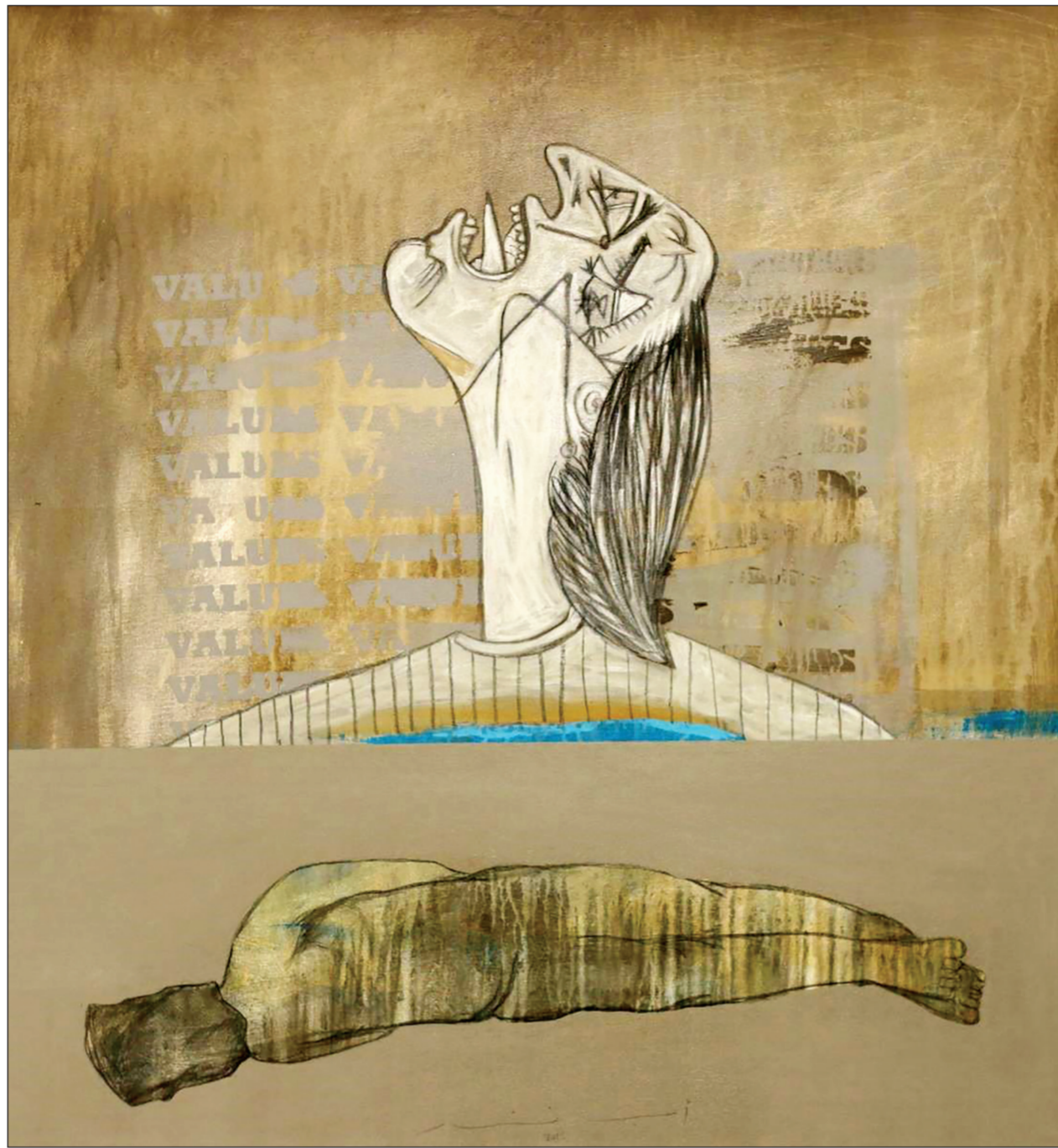
هناك، في برادات الموت الإسرائيلي

تنام العائلات وتستيقظ على تسجيلات الفيديو التي توثق إعدام أبنائهم، لحظاتهم وصراخاتهم وألفاسهم الأخيرة، عائلات أخرى ممن قُتل أبنائهم في جنح الخفاء، ظلت من دون أدنى فكرة أو أي معلومة عنه، هو الذي خرج في الصباح إلى المدرسة ولم يعد. لكن هذه العائلات كلها عرفت وتعرف أن جثامين بناتها وأبنائها ترقد هناك، في برادات الموت الإسرائيلية، تعرف أن جثامين أولادها صارت كتلاً جليدية بدرجة حرارة 25 تحت الصفر، فمنذ انطلاق العبة الشعبية، تمارس إسرائيل سياسية منهجية، بقرار حكومي مُعلن وتأييد جماهيري صهيوني واسع، تحتجز بموجها جثامين الشهداء، مرة لأسبوعين أو ثلاث أشهر، ومرة لفترة متواصلة وغير محدودة تمتد نصف السنة وهي مستمرة، منع الجنازات، يقول الإسرائيليون، «يمكنه أن يشكل رادعاً ويقلل من الدوافع لتنفيذ عملية طعن أخرى، أما دفنهم وتشييعهم وإقامة بيوت العزاء فتحولهم مثلاً يحدّي به».

أما في حال قررت إسرائيل أن تُعيد الجثمان، فهي لا تزيد المأساة إلا تدهوراً، إذ تتعامل مع جثث الشهداء كأنها أوراق تفاوض رابحة. تفرض شروطاً صارمة ومكتوبة تجبر العائلة على التوقيع عليها، ورهن مبالغ مالية طائلة مقابل تسلمها الجثمان. من هذه الشروط، مثلاً، ألا تبلغ المخبرات الإسرائيلية العائلة عن موعد تسليم الجثمان إلا بعد 25 ساعة، كما تشترط أن يستلم الجثمان أربعة من أبناء العائلة فقط لا غير، والأشخاص الذين يشاركون بالدفن أكثر من 20 أو 30 شخصاً، وأن يصل المشيعون إلى المقبرة ويخرجوا منها فرادى ومن دون «تجمعات ومسيرات»، وأن تستغرق عملية الدفن أقل من ساعة ونصف الساعة، في معظم الحالات، يصادر الإسرائيليون العواتف النقالة خلال الدفن لتلا يتم تصوير الجنازة، بين الشروط المكتوبة الأخرى ألا يطلق المشيعون ما يسميه الإسرائيليون «هتافات تحريضية»، وفي حالات كثيرة، اشترطت إسرائيل أن يدفن شهداء الضفة الغربية في القدس حتى تخضع الجنازة للرقابة الأمنية.

تحسين القتلة

تبرّز إسرائيل احتجاز الجثامين وإعادتهم لذويهم بشروط وحشية بحجة منع تخليد ذكراهم، وبالحاجة لوقف «التحريض»، وبحجة أن جنازاتهم تتحول إلى «مناسبات للاشتباك» و «تأجيج الوضع». لكن السادية الجنونية لا تنتهز البث من المهارة التقنية في أداء «الجريمة المثالية»، فالحقيقة أن إسرائيل ما زالت تقيم اعتباراً لأهمية حماية جثودها أمام احتمال الحماكات الدولية، وحتى في داخل النظام القضائي الإسرائيلي نفسه، فعلى الرغم من أن القضاء الإسرائيلي، عسكرياً كان أم مدنياً، هو جزء جوهري في منظومة القمع الصهيونية، إلا أنه يجد نفسه في حالات نادرة مجبراً على البت بالتأمسات أو دعاوى ضد جنوده، وذلك حين لا تبقى الدلائل المشورة أمام إسرائيل أي إمكانية للتهرب، مثل حالة شهيد الخليل عبد الفتاح الشريف الذي تظهره الكاميرات حياً ينفذ وغير قادر على الحركة، ثم تظهر بوضوح الجثدي الذي أطلق النار باتجاه رأسه وقتله بدم بارد. حتى حينذاك، تتخذ إسرائيل



أمجد غنام - فلسطين

احتياطياتها، فقتادراً مثلاً من المحال التجارية أو مداخل العمارات كأميرات الرقابة كافة التي تصور المنطقة التي تُفقد بها الإعدام، ويلاحقون بالاعتقال والتكثيف والتخويف شهود العيان الفلسطينيين على الجريمة المرتكبة. لهذا الهدف، إضافة للعبوس الانتقائي والتخطيط الوحشي العاجز، تحتجز إسرائيل جثامين الشهداء، وتشتترط تسليمهم لذويهم بإجراء الدفن خلال مدة زمنية قصيرة جداً، من أجل منع إخضاع الجثامين لعملية التشريح التي يجريها طبيب شرعي لكشف ملباسات الاستشهاد، فعملية التشريح في حالات القتل أهمية قضائية بالغة وحاسمة في إمكانية تقديم القتلة للحاكمية، والإببات بأن الشهيد قد أعدم بدم بارد. فهي توفر معلومات عن أسباب الوفاة، إذ يستطيع الطبيب الشرعي أن يؤكد أن الوفاة حدثت إثر نرف طويل وليس جراء «رصاصة قاتلة، وهو ما يعني أن الطواقم الطبية الإسرائيلية أهملته عمداً لفترة زمنية طويلة وصنعت عنه أي إسعاف، أو العكس، أن هذه الرصاصة هي تحديداً ما أدى للوفاة.. كذلك، بوسع التشريح أن يؤكد عدد الطلقات التي اخترقت جسد الشهيد، فما الذي يُثبت علمياً، غير أصوات الرصاص وشهادات الناس والصحافيين، أن الإسرائيليين قد أطلقوا نحو 50 رصاصة على

الشركات الدولية تنهب ذهب موريتانيا بينما يتوه الشباب العاطلون عن العمل في الصحراء بحثاً عن حبيباته. فتاوى في المغرب: الأموال المهربة إلى بنما ادخارا! وفي فكرة: اعتقال لاعب سيرك فلسطيني في إسرائيل.

كيف يحول الحيز العام العراقي دون لقاء المحبين: هندسة السلطة للمجتمع. ونسائم جديدة تهب في مصر: أزمة النظام وسؤال البدائل. وفي «بيتونة»، عيد الكتاب: انكشاف وهم العراقي الذي يُقرا.

التفوذ السعودي على الإعلام المصري. «بألف كلمة»، صور التظاهر بيوم تحرير سيناء. والمزيد على الموقع: حديث الكتب في العالم العربي مشكلات إصلاح التربية بالجزائر - نقاش حول جدارية السيد بالقاهرة.

ابن عمه أحمد مناصرة (13 عاماً) برصاص الاحتلال وتركوه يتزف وفقاً طويلاً، بينما شوهد الأطباء والمسعفون الإسرائيليون بالفيديو يجتمعون حوله من دون أن يعالجوه، وشوهد الإسرائيليون يقتربون منه، يشتمونه ويصقون على جسده النازف. لاحقاً، شاهدنا تسجيل فيديو لأحمد في غرف تحقيق المخبرات الإسرائيلية وهو يتعرض لأبشع أنواع التعذيب النفسي.

بعد منتصف تلك الليلة، بدأت وسائل الإعلام الفلسطينية تتناقل خبراً مفاده أن عائلة الشهيد حسن مناصرة رفضت أن تستلم جثمان ابنها وأعادته للإسرائيليين. قال والد الشهيد للصحافة فوراً: «هاى محاولة لإذلالنا.. لا يجيبوه بالطريقة هاهي، بيعرفوا إنه فش مجال لتكفينه وفش مجال لتقبيله وفش مجال لتوديعه، وفش مجال حتى أن نلحده».

كان خالد مناصرة، والد الشهيد، يتحدث عن الطريقة التي تسلم فيها إسرائيل جثامين الشهداء لعائلاتهم: من دون أن يتم إخراجها من البرادات قبل التسليم بفترة زمنية تسمح بذويها ودفنها وتوديعها بشكل لائق. العائلات المجبرة على إتمام الدفن خلال مدة أقصاها ساعة ونصف الساعة، تستلم جثة ابنها كتلة جليد واحدة فلا تتمكن حتى من أن تميزه، هذا غير الحالات التي لا تتمكن العائلة فيها من تمييز ابنها جراء اسوداد الجثمان، وهو ما يدل على تأكسد الجسد نتيجة أهمال طبي وتأخر بالغ في إدخال الجثمان إلى براد الموتى. حرفياً، يستلم الأب ابنه كتلة جليد، يمانق كتلة جليد ويقلب كتلة جليد، فلا يستطيع توديعه أو تكفينه وتصبح عملية الدفن خطيرة جداً، تقول العائلات، فالجثة في هذه الحالة... يمكنها أن تنكسر!

الدفن، العدالة، الحياة

دخول منظومة الجريمة الإسرائيلية إلى هذه المنطقة الإنسانية الحرجة المرتبطة بجواهر إنسانيتها، تُحيلنا إلى محاولة البحث عن جذور قيمة وحق الدفن في الأطوار المصلية من تاريخ البشر، من تلك الأولى وحتى الحداثة المؤسسة للمنظومة الحقوقية التي نعرفها في عالمنا اليوم.

في أقدم عمل أدبي معروف للبشرية، رفض جلجامش أن يترك جثة صديقه الميت أنكيدو لسبعة أيام وليالي، وحين رأى في اليوم السابع دودة تخرج من أنف الجثمان، قرأ أن يدفنه بيديه، أول ظهوره بالحلمة، كان أنكيدو متوحشاً وربته الحيوانات، لكن جلجامش تمكن لاحقاً من تدمينه وصنع منه إنساناً. عند الخطيب الروماني ككتيليان (القرن الأول بعد الميلاد) قد نجد تفسيراً لقرار جلجامش هذا، وقيمة الدفن عموماً، فنكتليات يقول إن أهم تفسير للحق بالدفن ينبع من كرامة الإنسان، إذ أنه بإنسانيته وعقله يتفوق على باقي الكائنات الحية، لذلك سيكون من العار على الإنسان أن تُترك الحيوانات المقترسة (وهو الحوش أو الحشرات في حالة أنكيدو) تنهش جثمان إنسان آخر، لا في ذلك من حط من إنسانية الميت وكرامته، في حالة مشابحة، ترفض أنتيغون في المأساة أن يُترك جثمان أخيه للوحوش وتُصر على دفنه.

في القرن السابع عشر، وضع هوجو غروتوس أسس ما نعرفه اليوم بالقانون الدولي الإنساني، وقد خصص في الجزء الثاني من مؤلفه «قانون الحرب والسلام» فصلاً كاملاً «عن الحق بالدفن»، ويصفه في مطلع الفصل بأنه «قانون الطبيعة غير المنصوص، الذي تتفوق قوته على كل القوانين المنصوصة التي يُمكن لكل الأجيال أن تنتجها». في الفصل ذاته، يذكر غروتوس تمسك الديانة اليهودية بقيمة الدفن كقانون إلهي، يأمر بالدفن الفوري «حتى للمصلوبين، وهم أصحاب أكثر جرائم شائخة»، أما في دولة اليهود التي لا تمت لليهودية بمصلة - إنما هي ممتدة التطرف العقلاني الأوروبي المؤدى للفاتشية الاستعمارية، بكلمات أخرى: الصهيونية، فإن المنطق السيد الوحيد هو احتكار المستعمرين للإنسانية، وتجريد ضحايا الاستعمار من أي طابع أو جوهر إنساني قبيح.

أن تمتع عن الإنسان دفنه، أو أي طقس يعتمد أي مجتمع لمواجهة موت الإنسان، يعني أن تنتزع منه أقدم أطباع الإنسان وأكفرها جذرية وجوهرية وأولية، وأن تنتزع إنسانيته. لكن أنتيغون التي قاتلت الملك لندفن أخيهما، وبالرغم من أنها قُتلت، إلا أنها كسرتة وأعادته بقوة الدم إلى الرشد والعدالة. أما جلجامش، فنقول الحملة إنه عندما دفن أنكيدو إدراكاً لقيمة إنسانيته، خرج بحثاً عن الحياة الأبدية. ونحن أيضاً نُريد شهداءنا مكرّمين: لتستعيد العدالة، ونستمر في بحثنا عن الحياة.

مجد كيال

كاتب فلسطيني من حيفا

اللاذقية: صورة سوريا الصغرى

نشأت اللاذقية كأغلب مدن الشرق، معمدة بطقس الدم كما تهمس حفرهايا الأسطورة، فقدمت أجمل بناتها (أغافي) قرباناً لتأسيسها، في منطلق الأسطورة نفسه، تجاوزت المدينة عمر الطفولة لتدخل عهد الحكمة، ثمانية آلاف عام وضمت منذ تحولت من قرية فينيقية صغيرة حملت اسم يرموتي إلى مدينة حقيقية وضع حجر أساسها «سلوقس نيكاتور»، من 306 آلاف نسمة)، ومُنشئين أحياء جديدة تحولت لمرکز نقل جديد للمدينة («الزراعة» و «منطقة الجامع») أضعفت المركز التقليدية القديمة («الشيخ ضاهر»).

يحضر فيها عموماً قرابة العشرين طائفة دينية وقومية، بعض عائلاتها من أصول إيطالية ويونانية وتركية، أما الوجود الإسلامي طويل الأمد فيها (دخلها أولاً عبادة من الصامت الأنصاري) فلم يستطع طبع المدينة بطابعه رغم انتشاره السكاني في الواجهة البحرية للمدينة التي اختفى معظمها في توسع المرفأ الأخير نهاية السبعينيات، مزيلاً آخر القاهي الشعبية، تلك التي شكلت عالم «حنا مينه» الروائي بمعظمه.

لم تزل المدينة حظوة في ظل اعتبارها «مدينة السيد الرئيس» (السابق وال الحالي، كما عرفها السوريون بعد 1970)، أما صفحتها كمدينة «سياحية» فهي خادعة، أقصى تمتلحاتها صناعة الفطائر على الطرافق.. وتنتطلق عشوائية التنمية عليها كثيراً ما شقيقاتها.

إلى جانب البحر وأعماله، ما زال العمل الأثري للغالبية هو التجارة مع حلب التي اعتمدت على اللاذقية كثيراً بعد سلب لواء الإسكندرون لتكون نافذتها على العالم، فأحياتها سابقاً، كما تغفل اليوم بعد هجرة آلاف الحلبيين إليها، مفضلين إياها على غيرها، وتناقلين إلى أهلها («الوادقة») ثقافة عمل جديدة لم يعرفوها سابقاً: بيع كثيراً وأربح قليلاً.

شهدت المدينة في سنوات الأزمة - وما قبلها - انتشاراً محموماً لعشوائيات سكنية ابتلعت أراضيها الزراعية شيئاً (الدعور، دمسرخو) حيث تظفن غالبية علوية، وتحولت جنوباً في عشوائياتها ذات الغالبية السنية المهاجرة أيضاً (الرمل الجنوبي، السكندوري) إلى مركز رئيسي للظواهر التي لم تستطع تكوين شكل مرجح في ظل ضعف نسبتها العددية قياساً بكل السكان وقتها، اليوم تتناصف النسبة العددية تقريباً بين السنة والعلويين وفق الإحصادات

التداولية.

التدفق الكبير للمهاجرين (وغالبيتهم من السنة) ساهم في تفكيك الغيتوهات السكنية التقليدية ذات الطابع الطائفي والقومي، مما جعلها مزجحة بشكل لا يطاق مترافقاً مع ضعف البنى التحتية الزمن. وقد اضطر القادمون لسكن أحياء جديدة أنشأها تجار الحرب غالباً بسرعة فوق البقية الباقية من الغطاء الأخضر للمدينة، ويتواطؤ صريح مع الجهات الرسمية، اليوم هناك أحياء جديدة في مناطق علوية تاريخياً (سنجوان، سقوبين) تحمل اسم (حلب الجديدة وإدلب الجديدة) يختلط فيها الجميع بانتظار نهاية الحرب، يتزاوجون ويتاجرون ويحلمون أيضاً.

عرفت المدينة ظواهر متناقضة سوسيوولوجياً فسّرت على عتبات الطوائف غالباً تفسيراً قاصراً مرتبطاً بإرث تاريخي دون المرور في فلاتر السلطة ومفاعيلها المجتمعية، خاصة ما ارتبط منها بريفية وفلاحية بنية السلطة نفسها، فكما انطلقت أول معارضة علمانية للنظام منها (ما زال بعض معتقليها في السجون)، فقد انطلقت منها ظاهرة التشبيح، التي كوتها بنارها قبل غيرها، وآخر آثارها قضية قتل العقيد حسان الشيوخ على يد أحد أبرز رموز التشبيح في السنوات الأخيرة.

لم تحدث أية أعمال عنف ضد المهاجرين. يفسر البعض الأمر بأن المحافظة ككل، رغم كونها خزان النظام البشري ومعقله الأساسي، إلا أنها تعتبر فعلها تمسكاً بفكرة الدولة ومؤسساتها لا بالنظام وأجهزته الأمنية، رغم أن أجهزة الدولة لم تقم سوى بجهد طفيف لإيقاف ظاهرة التشبيح التي طعمت المدينة باسمها.

كذلك، لم تعش المدينة ربع الحرب بمعناه التدميري، لكنها دفعت جزءاً ليس يسيراً من فاتورتها: مئة ألف نسوة أو أكثر تضيق بها جدرانها، عدا عن المعتقلين والمخطفون والمفقودين، وفيما يعرف الجميع أزمات معاشية كثيرة مع انخفاض القيمة الشرائية لليرة عشرة أضعاف، تستمر الحياة هنا دون وجود رؤى واضحة للمستقبل، ككل المدن السورية الأخرى.

كمال شاهين

كاتب من سوريا

«أبناء الأرض الطيبة»

«برغم أن السنة دي بتحل ذكرى تحرير سيناء في وقت صعب، فيه عدد كبير من الشباب مقبوض عليهم من البيوت والقهاوي والشوارع عشان عبروا عن رأيهم برفض ما يعتبرونه تفریطاً في جزء غالي من تراب سيناء، بجزيرتي مسنايف وتيران، وبرغم أن سيناء تتألم بفعل الإرهاب، وأيضاً بفعل الأخطاء الضخمة في أسلوب التعامل معه، ويفعل التهميش وتعطل التنمية المستمر لعشرات السنين، مع تكرار إعلان المشاريع والميزانيات.. لكن كل ده لن ينعمننا، بل يجعل من الواجب علينا أننا ن فكر نفسنا بمعنى 25 أبريل»، ... «فتكر معنى الأرض اللي حاربنا عشانها بالسلاح والدم، وكمان حاربنا بالدبلوماسية والقانون عشان كيلومتر واحد منها (طابا)، وفتكر إن سيناء 6 في المئة من كامل تراب مصر، يعني أكبر من مساحة الدلتا المصرية بكل محافظتها 3 مرات، سيناء فيها 670 كيلو من السواحل البحرية لم تستغل بعد 34 سنة من التحرير، وفيها كنوز من الخير والثروات الاقتصادية والفرص الاستثمارية، في انتظار أولاد مصر اللي هيخاؤوا خيرها لأهلها.

فتفكر إن الإرهاب والتهميش والانفجارات والفقر والمرض مش هي الأفكار اللي مفروض تيجي في بالنا لما نفتكر سيناء، لكن سيناء مفروض تكون صورة الخير والجمال والسلام والأزدهار الاقتصادي».

... «تجدة لي 500 ألف مصري يعيش في سيناء، ومتمسك بالأرض مهما كانت الظروف. تجدة إلى كل عسكري وضابط قادر يفهم رسالته ودوره، ويحارب الإرهاب في سيناء بكل بطولته، وفي نفس الوقت مأخوذ ده حجة لظلم الناس والتناك حقوقهم وحرمان بيوتهم وأهلهم. تجدة للشهيد الجوهول ابن الأرض الطيبة اللي انتحللت بيادته على رمل سيناء وهو بيحافظ عليها ليها ولأجيال بعدنا. وتجدة لكل مصري قدر يتحدى الخوف عشان يعمل ما هو مقتنع إنه بيغدي بلده بيه، تجدة لي بيشتغل في سيناء، وكمل في مكانه عشان يفيد أهل بلده، وتجدة لكل الشباب اللي في السجون لأنهم قالوا كلمة حق للحفاظ على حقهم في تقرير مصير أرضهم».

هذه المقطعات من صفحة «الوقف المصري» على فايسبوك بمناسبة ذكرى تحرير سيناء من العدو الإسرائيلي، وبمناسبة التظاهرات في ذكرى ذلك اليوم احتجاجاً على التنازل عن الجزيرتين.

.. وليس هناك ما يضاف!

نهلة الشهايل

159 هي مرتبة مصر في التصنيف السنوي لحرية الصحافة في العالم (من بين 178 بلداً)، حسب منظمة «مراسلون بلا حدود» التي وصفت مصر في تقريرها بـ «أحد أكبر السجون للصحافيين عالمياً، حيث لا يزال أكثر من 20 إعلماً معتقلين بذرائع زائفة».

قضية

ذهب موريتانيا بين المتبطلين وشركات النهب الدولية



التنقيب عن الذهب في موريتانيا

طريق الشمال بات الأكثر أهمية لمئات الشباب الموريتاني والمغاربة، بحثاً عن الذهب في ثلاث من المحافظات الشمالية الموريتانية، حيث عشرات الشركات الدولية التي تنقب عن المعادن. يقول أحمد وهو من المغاربة الباحثين عن الذهب إن الأمر انكشف مع تزايد منح الحكومة الموريتانية خلال العام الماضي لإرخس التنقيب عن أحد المعادن النفيسة في ركن من صحرائها مترامية الأطراف. ويضيف أن الشباب الموريتاني لم ينتظر الترخيص الحكومي ليبدأ مغامرة خطيرة للبحث عن معدن الذهب النفيس، ستقوده إلى أماكن بعيدة في عمق الصحراء فراراً من شبح البطالة. ويؤكد أنه قضى خمسة أيام برفقة أربعة آخرين وعاد بقرابة كلغ من الذهب في حين عاد رفاقه بأقل من ذلك، وأنه لن يتراجع عن «عمله» هذا رغم ما يترتب عليه من مخاطر كبيرة، في مقدمتها إمكانية الضياع في صحراء شاسعة تكاد تنعدم فيها الحياة، وخطر الأفاعي، وملاحقة «الباحثين عن الذهب» دون الحصول على رخصة تنقيب، وسعيه الكره حتى لو جاءت إلى المكان قوات أمنية. فعلى بعد مئتين وخمسين كيلومتراً شمال العاصمة نواكشوط يقتسم الطبيعة بعض الباحثين عن الذهب في مجال صحراوي قاس مع شركة كينروس الكندية التي تستخرج الذهب من المنطقة. ويشكو المستثمر الكندي الشبان للسلطات..

ولا يستغرب موريتانيون موجة البحث عن الذهب في صحاري الشمال ويقول أحد المسؤولين في السياحة إن السياح الأجانب سبقوا الشباب لمغامرته هذه، وكانوا يقبلون بكثرة على هذه الصحاري تحت غطاء السياحة.

بريق أمل

كثف المدونون الموريتانيون من حملاتهم على شركات التنقيب وطلابوا بطردها. كما تعددت كتاباتهم عن تلك الرحلات بوصفها «بريق الأمل» بالنسبة للمواطنين عن العمل من الشباب. ودعا مدونون رئيس البلاد إلى تأميم الذهب معتبرين أن الظروف الدولية تعينه الآن أكثر من أي وقت، والدولة ليست مضطرة للالتزام باتفاقيات تضر بالأمة ومصالحها، حتى لو كانت اتفاقيات طويلة الأمد. وذهب وزير سابق ومحام إلى القول إن مبادرات الشباب في البحث عن الذهب تستحق التشجيع والرعاية وليس المضايقة والعقاب! وتقف أجهزة الأمن والجيش عاجزة عن صد الشبان الذين انكسرتهم البطالة وصمموا على المجازفة طمعاً في ما يعينهم على الأوضاع الصعبة المتفاقمة، كما يقول محمد محمود، وهو ثلاثيني حاصل على شهادة عليا في المعلوماتية وخريج إحدى أعرق الجامعات الأوروبية. ويضيف الشباب أن الأمر لا يبدو كونه فرصة منحها الله لشباب عاطل عن العمل، وأنه استعان بفضل ابن عمه التاجر في السوق المركزي بسيارة رياضية عابرة للصحاري وبيجهاز بحث ثمنه يعادل الفين وخمسمئة دولار.

أكثر من ثلاثين في المئة من قوة العمل تعاني من البطالة، وذلك على الرغم من فترات البلاد، حيث يستخرج الذهب والحديد والنحاس وعلى الرغم من استثمار مليارات الدولارات في مشاريع غازية وفضوية ومنجمية، من أبرزها مشروع الغاز في شواطئ نواكشوط لشركة

المعادن؛ وهذا على الرغم من أن الدولة الموريتانية لا تستفيد بأكثر من اثنين ونصف في المئة من قيمة الحديد المستخرج وثلاثة ونصف للنحاس والذهب، وهي نسب ثابتة مهما ارتفع أو انخفض سعر المعدن دولياً.

المختار ولد محمد
صحافي من موريتانيا

تساعد السلطات الموريتانية هذه الشركات البالغ تعدادها مئة وخمسة وأربعين شركة دولية على نهب أموال يفترض أن يكون الموريتانيون أولى بها. حيث تعفي الدولة المعدنية المستثمر من القيمة المضافة بصفة قبيلية وأعضاء مطلق في فترة التنقيب، مع أن ثلاث عشرة شركة منها تستعد للبدء في استخراج المعادن من المناجم. موازنة موريتانيا لا تتجاوز الملياري دولار، وهي تعتمد في ثلثها على

كوسموس الأمريكية، ومشروع حوض تاودني لسونتراك الجزائرية قرب العين الصفرة شمال البلاد، ومشروع العوج الذي يتوقع أن يمكن من إنتاج خمسة عشر مليون طن من الحديد، ومشروع أسكاف والذي سيتمكن من إنتاج ثمانية ملايين طن من الحديد سنوياً، بالإضافة إلى مشاريع تعدينية أخرى تموّلها شركات سويسرية وكندية وبريطانية وجنوب أفريقية.

الأموال المهربة في بنما هي ادخار!

سلطة ديماغوجيا من المغرب

في البلد زعماء بلغوا سن 65 عاماً على رأس النقابات ويعترضون على تمديد الحكومة سن التقاعد للموظفين حتى سن 62. في مدينة مغربية هناك جمعية لربي الخيول، كل مسيري الجمعية ليس لديهم خيول. ومربو الخيول ليسوا أعضاء مكتب تسيير الجمعية. في ثانوية، رئيس جمعية أولياء التلاميذ ليس لديه ولد يدرس بالمؤسسة لكنه جلب توكيلا- لينوب عن والد تلميذ ما - ليكون بإمكانه الاستيلاء على المنصب والتفاوض باسم المؤسسة..

هذا قديم. وما الجديد؟

بدأت الجمعيات تنشط بكثافة لتحقيق أهدافها في التنمية الإنسانية ومحاربة التهميش ووووووو... ممنوع اتهام هذه الجمعيات الخيرية بأنها تقوم بحملات انتخابية سابقة لأوانها. الهدف هو إظهار العضلات الاقتصادية وشبكات النفوذ وقياس ردود الأفعال التي سينتظر بناء عليها من سيترشح ومن سياترجع.. قبل الاصططاف تجري تسريحات وتصفية حسابات تمهيدا للانتخابات التشريعية أكتوبر 2016. بدأ الصراع بين الكولاء الصغار للتسديد على الفريسة السمينة. تلك حكيكات صغيرة عن المشهد المغربي. ثم ظهر محكي كوئي: ظهرت أوراق بنما عن المالدات الضريبية الأذية ونشرت جريدة مغربية الخير مع صور لاعبين الشحيرين على فرض أن الجمهور يتابع الرياضيين لا السياسيين. وشرحت الجريدة - التي تمتلئ صفحاتها بالإعلانات المذرة للدخل - ببلغة وشجاعة أن ليونيل ميسي يهرب من الضريبة ويخرق القانون ويخفي أنشطته المالية لتحقيق الأزيد من الأرباح إلخ... وأشارت إلى أن أميركا هي سبب تسريب الوثائق خدمة لمصالحها لتسويه سمعة فلاديمير بوتين. بينما تحدثت أوراق بنما عن سكرتير الملك محمد السادس وشرائه ليخت فاخر..

في أول رد فعل له على التسريبات، قال وزير العدل المغربي أن «لا علم لي بالوضع»، وأضاف لوقع «لكم2» أن معرفته قليلة بالتسريبات المتعلقة بقواعد تنظيم الضرائب والتهرب عن تأديتها.

اليك الآن الديماغوجية الاقتصادية، وهي نشر أرقام توقعات مضللة. توقع والي بنك المغرب أن تكون نسبة النمو واحد في المئة في 2016 وهذا أغضب رئيس الوزراء. من جهته توقع البنك الدولي 2.3 في المئة. وكان البنك توقع أن تكون النسبة 3 في المئة في 2015.

الخبر الصحيح هو أن نسبة النمو هي 4.7 في المئة في 2015: التوقعات ليست أخبارا. في توجه «الطنز المعري» نفسه، أعلن الاقتصاديون أن خدمة الدين المغربي بلغت أعلى مستوياتها في عهد حكومة الإسلاميين. يفهم من ذلك أن ما استدانته حكومة الإسلاميين في أربع سنوات أكثر مما استدانته الحكومات السابقة طيلة أربعين سنة. تضليل، لن تسقط حكومة الإسلاميين بنشر الأكاذيب. للناس بوصلة دقيقة ولهم كراهية شديدة لمن يحتال لتضليلهم.

الهدف من نشر التوقعات أكثر من الإخبار هو تأكيد فشل الحكومة والتحذير منها، لأن الانتخابات قريبة. وطبعاً فالديماغوجيا في السياسة هي الأروع لأنها تكشف البنية الفوقية للنخبة. وبما أن وزارة الداخلية تتولى مطبخ الانتخابات، فاللاعبون يلتفون حول القدر لإضافة التوابل، كل على قدر نيته.

في 2016 يتحدث الرفاق عن التعذيب والقمع والحذر العملي في المغرب بمعجم 1970. وعلى النقيض من ذلك صرح بكنيران أنه قال للملك «حتى لو أدخلتني السجن فانا ملك»، وهو بذلك يقطع الطريق على من يزايدون عليه في الولاء للملك.

فسر ما يلي: جرى تعديل مشروع هيئة المناصفة ومكافحة أشكال التمييز ضد النساء. حزبان في الحكومة لا علم لهما ويتمناه الأمانة العامة للحكومة. لا تُفسر ما يلي: انضم زعيم الحزب الشيوعي المغربي لحكومة الإسلاميين. خرجت رقيقة الزعيم في الحزب تنتقده واعتبرت الاجتماع بين حزب العدالة والتنمية والتقدم والإشتراكية صدمة. أين الديماغوجيا؟ الحديث كان الاجتماع والتحالف بدأ هذا الصباح. بينما الحزب حصل على أربعة مناصب وزارية في 2011 رغم ضعف نتائجه في الانتخابات.

الرفيقة تتجاهل مشكلة زعيمها. لقد تشاجرت زوجته مع زوجة وزير الخارجية، وفقد منصب سفير في إيطاليا في تموز/يوليو 2009. والآن صار وزير الخارجية مستشارا للملك. ويعرف الرفيق الزعيم أن ورفته الراجحة توجد في جبة الإسلاميين ولولاهم لما صار وزيرا.

«الطنز المعري» هو ممارسة السياسة بلا ذاكرة، أي التصرف كأن كل شيء بدأ هذا الصباح. وهذه حيلة لطمع عبد الماضي. أي الممارسات السابقة، فينسيانها لن يعرف المواطن البسيط ما قاله وما فعله السياسي منذ عامين فيقارنه بما يقوله ويفعله الآن. النسيان أو التناسي يريح من المقارنات الصادمة.

وتختم بسقف «الطنز المعري» وهو العتبة الانتخابية. كانت الأحزاب تطالب برفع العتبة إلى سبعة في المئة عام 2000 (الحد الأدنى من الأصوات لدخول البرلمان)، لتقوية المؤسسات السياسية وتشجيع النقاب البرنامجي، وجرى التوافق أن تكون العتبة ست في المئة. النتيجة أن ثلثي الأحزاب الغربية (عددها 36) غير ممثلة في البرلمان حالياً لأنها لم تحقق ستة في المئة من أصوات الناخبين، وهي مستمرة في ادعاء تمثيل كل الشعب. وفي 2016 تطالب الأحزاب بتخفيض العتبة إلى ثلاث في المئة «بهدف عقلنة المشهد السياسي».

أين تتجلى الديماغوجية؟

في إخفاء الحجج الحقيقية للمطالب. لقد طلع سلوك النخبة مع الديماغوجيا. لذا لا ينتبه الفرحون بتخفيض عتبة الانتخابات للنتائج. سيشتتون المشهد السياسي الحزبي ويصير البرلمان القادم عاجزا عن اتخاذ القرارات.

هل يوجد تناقض في خطاب رفع وتخفيض العتبة؟ لا أحد ينتبه بأنه يستغني الناس لأن الذين «طلعت ريجتهم» عندما يتحدثون بطلاقة كأنهم بلا حاسة شم وهم متأكدون أن الشعب بلا أنف.

محمد بن عزيز
كاتب وسينمائي من المغرب

مجموعة رجال وأطفال في ساحة تحيط بها أسوارٌ عالية. تقترّب الكاميرا من رجل يحاول المشي في الساحة. تمنعه إعاقة في قدمه من التقدّم كثيراً فيجلس ليستريح. تتركه الكاميرا لتنتقل على وجوه الموجودين في الساحة بشكل سريع. لا تظهر أي ابتسامة إلى أن تصل الكاميرا إلى وجه راكب الباص الذي يظهر وهو يثبّت قطعة البلاستيك الحمراء على أنفه. - ما بك؟! ألم تتفق أن هذا مخيم صيفي وأن علينا أن نستمتع به إلى أقصى حدّ قبل أن نعود إلى منازلنا؟ ينتهي الفيلم. يخيم الصمت على القاعة ثوانٍ عدّة قبل أن تُسمع ضحكةٌ، تتلوها ضحكات، قبل أن تنفجر القاعة كلها بالضحك. في 15 كانون الأول/ديسمبر 2015 اعتقل الإسرائيليون المهرج ومدرب السيرك في مدرسة فلسطين للسيرك. وهو إلى الآن محتجز إدارياً من دون أن توجه له أي تهمة، وقد رفضت المحكمة العسكرية الاستئناف في قضيته آخر شهر آذار/ مارس الماضي. اسمه محمد أبو سخّا.

ربيع مصطفى

مهرج يقف على المسرح ليحيي الجمهور بعد انتهاء عرضه. صوت تصفيق وصغير يفعل من كل مكان. تصعد طفلة على خشبة مع والدها. يقول الوالد للمهرج إن ابنته تود أن تقول له شيئاً.

- أنا أحبك شكراً لك لأنك تجعلنا نضحك. ينحني المهرج ويقبل يد الطفلة. الطاولة مجدداً. قطعة البلاستيك الحمراء تتحرك بفعل أصابع لا نرى سوى كفّ صاحبا. تبعد الكف وتواصل قطعة البلاستيك دورانها على الطاولة.

- تقبيل اليد ليس من عاداتنا حتى أنني لم أعد يوماً تقبيل يد أمي.. قطعة البلاستيك ساكنة مجدداً. الأصابع تتقدم لتحركها.

- ليس حتمياً علينا أن نعيش ظروفاً سيئة قبل أن نصل إلى حياة جميلة. يمكننا جعل حياتنا جميلة بأن نساعد بعضنا.

طفل يقف على أرجوحة ووجهه غارق في ضحكة سخية تشبه كل ما في الطفولة من فرح - أنا أحبك جداً جداً، وأشتاق إليك جداً جداً. حزنت عندما علمت أنك معتقل.

فكرة شكراً لأنك تجعلنا نضحك

مجموعة جنود يقفون عند نقطة تفتيش. تقترّب الكاميرا من وجه أحدهم. يبدو من ملامحه أنه لم يتجاوز العشرين. يتأهب. تتركه الكاميرا وشأنه. يظهر الآن في الشارع باص صغير يقترّب من مكان تركز الجنود. يوقفه الجند للتأهب ويطلب هويات الركاب. يتوعن في إحدى الهويات ثم يطلب من صاحبا الأوراق. يقفاده نحو الضابط المسؤول الذي يعلمه أنه منذ هذه اللحظة بات معتقلاً. يحاول الركاب أن يفهم السبب، لا تفسير. يحاول أن يشرح للضابط أنه يجب أن يصل إلى المدرسة حيث ينتظره طلابه كالعالمات. لا يبدو أي تعبير على وجه الضابط. يضع الركاب يده في جيبيه. يتأهب الضابط ويضع يده على مسدسه. يخرج الركاب من جيبيه قطعة بلاستيك حمراء. يتبّتها على أنفه، ويتنسم ابتسامة عريضة جداً. تنتقل الكاميرا إلى وجه الضابط الذي يبدو عليه طيف ابتسامة يكبحه بسرعة ثم يأمر الجند أن يقفاد صاحب الابتسامة العريضة جداً إلى مركز الاعتقال. طاولة عليها قطعة بلاستيك حمراء ساكنة. يرافق الصورة صوت شاب يتحدث صاحبه عن بداية علاقته مع المسرح وقراره أن تكون مهمته في الحياة إضحاك الأطفال أولاً وغير الأطفال تالياً.

السلطة تُنتج المجتمع!

هندسة الحيز العام العراقي

«ثمة أماكن محددة للقاء، والآن باتت جميعها مكشوفة»، يقول سائق تاكسي وكأنه أحد تجارِ المنوعات وهو يتحدث عن صعوبة لقاؤه بحبيبه في متنتهات بغداد. تكاد قصص الحب في العاصمة تتلاشى أو تتحول إلى حكايات محزنة بدلاً من أن تكون مُفرحة وبعاعة على الحياة في عراق اليوم، وقد تلاشى حيزه العام الذي لم يعد يصلح للسياسة، فكيف إذاً للحب؟ يعيش الشباب إناثاً وذكرًا مفارقاً مؤلمة كالوجود في شارع واحد من دون أن يكونوا قادرين على التواصل إلا عبر المواقع الإلكترونية، في ظل انغلاق تام للمجتمع وانحسار حيزه العام المتمثل في يقع في أطراف العاصمة، إذ أنه ليس مفضلاً لبع مسافته، وأماكن في الرصافة هي حدائق شارع أبي نواس، أو منتزه الزوراء في الكرخ، وبينهما منتزه الجزيرة السياحية الذي يقع في أطراف العاصمة، إذ أنه ليس مفضلاً لبع مسافته، وبسبب السمعة التي لحقتها في الأعوام الأخيرة كون المحبين فيه ليسوا «عذريين» تماماً.

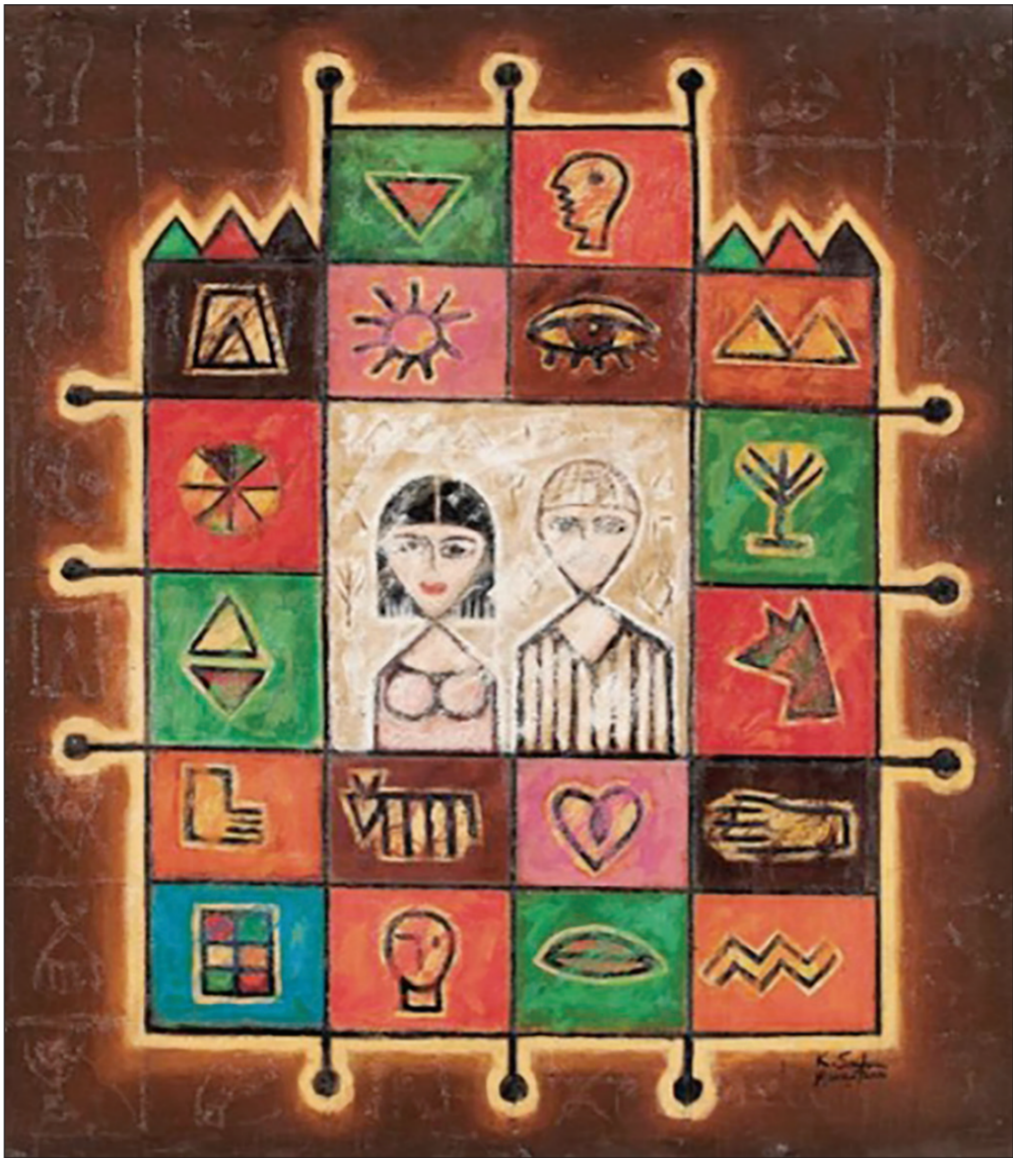
الحب بالسكايب

المحب، سائق التاكسي، في بداية العشرينيات من عمره، ظل طوال الطريق الذي استغرق نحو نصف ساعة وهو يجول شرايين بغداد يتبادل الرسائل القصيرة وصور السيلفي مع حبيبه، ولم يصبر قبل أن يهاتفها ويلقي عليها تحية الصباح ويمارحها بأبيات شعر عامي. تحولت اللقائات بين الشابين إلى الفضاء الإلكتروني، فهما يعينشان الحب عبر العائف المحول وبرناتج سكايب و«فيسبوك»، على الرغم من أنها يسكنان على مقربة من بعض في منطقتين ملاصقتين، هي أنعت الجامعة العام الماضي ولم يُعدّ ألهما يسمحون لها بالخروج إلا ثدرة، وهو يظل مُتلهفا لها، بيد أنه لا يريد أن «تُفصح» أو أن يساء إلى سمعتها إذا ما التقيا، وهو الأمر الذي قد يجرّ إلى قتلها، أو بإقل الأحوال سوءاً تزويجها، وهما غير جاهزين لهذا الخيار بعد.

بغداد البالغة مساحتها 4555 كيلومتراً مربعاً تضيق بأهلها، وبالنساء على وجه الخصوص، إذ ما عاد متاحاً لمن الحضور في الحيز العام، تكاد المقاهي والمطاعم تُخصّص للرجال بسبب انغلاق المجتمع على نفسه لأسباب وليلي منها الوضع الأمني المثلث الذي جعل العائلات تخاف على بناتها من الانفجارات والحطفت، فيحدّ من خروج النساء، إلى ذلك كله يُضّاف صعود مدّ الأعراف العشائرية التي تزيد من المحافظة وتضع المرأة على رفّ «العيب» وتحولها إلى «مشكلة» حتى يتم زواجها و«التخلص» منها ومن «الأخطاء» التي «قد» ترتكبها، وهذه الأخطاء تتلخّص بتعرّفها على ذكور والالتقاء في الأماكن العامة. وبالطبع لا يمكن إغفال تصاعد الخطاب الديني، الذي ينشهر ويعرض بالرأة ولبسها، ويؤيد الإختلاط، ويحرم العلاقات خارج مؤسسة الزواج. وأخيراً العسكرية في المجتمع، التي تروج للميليشيات والقوات الأمنية المنتشرة في المدن التصرف على أساس أنهم أوصياء على «الشرف» و«الإخلاق».

وعلى العكس مما يروج له سياسيون بل ومتفقون في

العراق، بأن «السلطة هي نتاج المجتمع»، فإن السلطة كان لها دور أساسي ومحرض في وصول المجتمع إلى هذا الانفلاق، أي منع الإختلاط وتحويل المرأة إلى عيب، فهي أنتجت خطاباً رجعيًا، وتحاول تطليق التوصيف باعتماد مفردة أنها «محافظة»، النظام السلطوي الحالي كان قد ورث أرضية جاهزة عن نظام صدام حسين الذي عمل مطلع التسعينيات على تريبية المدينة سوسيوولوجيا وقبيلية، وصبغها بالإيمان، بعد أن أفلس تماماً من كل شعارات القومية والإشتراكية، وبعد أن تبثّت غالبية دول المنطقة الخطاب الإسلامي، وهو أيضاً كان ردة فعل على انتفاضة الجنوب العراقي التي كان طابعها إسلامي. هكذا عممت مفاهيم منها تلخيص الحب (بسداجة) على أنه علاقة جنسية محرمة فحسب. وسرعان ما استغلت الأحزاب الطائفية التي وصلت إلى سدة الحكم بعد احتلال بغداد في نيسان / أبريل 2003 هذه الأرضية لتزيد إليها الأحوال والفظائع، فمنذ 2004 وحتى الآن لم تنفك



كريم سيفو - العراق

الأحزاب الإسلامية عن تقديم مقترحات لفصل الجنسين في المدارس الابتدائية (تقوم نائبة بجولات على المدارس الابتدائية لتوزيع الحجاب على الطالبات) بعد أن نجحت، في الكثير من الجامعات بتطبيق هذا الفصل، ضاربة عرض الحائط بتظاهرات الطلبة الراقضة له.

ترافق كل هذا بداب وسائل الإعلام في هذه الأحزاب، من صحف وفضائيات، على حدّ المرأة من دون كلل على الحجاب، «عفاك يا فتاة.. هو طمّرك» وهو شعار مجتزأ

من «دعوة» مطوّلة ليس فقط إلى الحجاب، وإنما لتعديل شكله بحيث يغطي أغلب الوجه، علاوة على لافتات تحريم «التبرّج» التي تنتشر في كل مكان، حتى وصلت إلى حرم أعرق جامعات العراق مثل جامعتي المستنصرية وبغداد.

وبطبيعة الحال، لا يمكن فصل خطاب رجال الدين الذين أخذت الشاشات تنقل محاضراتهم عن هذه الظاهرة، فبالإمكان رصد مئات المحاضرات التي تتحدث عن فصل الجنسين، والزام المرأة التشبّه بـ«أخلاق»

60 في المئة نسبة تراجع سعر صرف الجنيه السوداني أمام الدولار الأميركي في الأشهر الثلاثة الماضية. وقد دعا بعض النواب إلى إقالة وزير المالية واتخاذ تدابير عاجلة للحد من الغلاء بسبب التدهور في قيمة العملة الوطنية.

زوجات النبي والصحابة، والحثّ على تزويجهم بعمر صغيرة، والعمل على تشريع «قانون الأحوال الشخصية الجعفري» الذي يسمح بزواج الفتاة عند بلوغها تسعة أعوام هلالية، ويخضع القانون المرأة لرغبات زوجها كون العاشرة الزوجية «حق أصيل»، ويحول القانون الزواج من «رابطة للحياة المشتركة»، إلى عقد نكاح شرعي فقط!

لا تبدو نتائج هذه المفاهيم المفروضة على المجتمع من الأعلى بقوة السلاح و/أو بقوة الخطاب، مستغربة أبداً، فالتعاضد بين الديني والعشائري والسلطة السياسية أدى إلى اتساع ظاهرة الزواج المبكر، حيث أكدت وزارة التخطيط في العام 2013 أن 23.4 في المئة من النساء العراقيات تزوجن قبل بلوغ سن 18 عاماً، وأن 5.5 في المئة تزوجن قبل سن 15 عاماً. وارتفاع عدد التزوجين بهذا الشكل لم يكن ليؤدي إلى انفجار سكاني، كما شكى وزير التخطيط الأسبق، وإنما عنى أيضاً تفككاً أسرياً، وولادة جيل من الأبناء بين آباء صغار مطلقين لم يخبروا التعامل مع الحياة ليخبروا التعامل مع آبنائهم، وبلغ عدد حالات الطلاق نحو 516.784 خلال الأعوام العشرة الأخيرة، وهو ما يعني أن 20 في المئة من عدد الزيجات قد انتهت بالطلاق.

استطراداً، فإن المفاهيم الاجتماعية الجديدة التي أخذت تترسّخ داخل المجتمع العراقي لم تنتج عن حاجة المجتمع إليها، بل وتحصل بقرار منه، وإنما كانت سابقاً يفعل سلطة ديكتاتورية. والآن أخذت تُفرض المفاهيم بقرارات وتشريعات وعمل دؤوب لسلطة مشوهة، لم تعمل على تشجيع السياسة وضرورة ممارستها فقط، وإنما على تحويل المجتمع إلى أكثر الأدوات طواعية من أجل استغلاله للاستمرار في سيطرتها على الغنمية. بيد أن النظام الاقتصادي الذي ترسيبه السلطة ذاتها، أخذ يتعارض مع شكل الحياة الاجتماعية المنشود وتنميته الذي تريد فرضه في الحيز العام كما في الخاص، فلم تعد الحاجة الاقتصادية للعراقيين (والشباب منهم الذين يشكلون نحو نصف المجتمع) تسمح للرجل وحده بأن يكون عمالاً، وهو ما يجبره على الرضوخ لخروج المرأة للعمل، كما أن تفضّي حالات الطلاق وتناول تبعاتها في الحكايات اليومية، وصعوبة توفير متطلبات الحياة الزوجية، تدفع شيئاً إلى عدم الركون لقبول بزواج مُبكر، إلى ذلك كله يُضّاف دخول التكنولوجيا إلى المجتمع وتعرّفه على الحياة اليومية للمجتمعات الأخرى، ما يدفعه إلى البحث عن تكوين شكل اجتماعي آخر غير ذاك الذي يراد له التحرك فيه.

صحيح أن واقع الرفض هذا لم يصحح بالحجم الذي يمكن أن يكون انقلاباً على الواقع المفروض الآن، إلا أن الصحيح أيضاً أن قوة الرفض أخذت بالاتساع، وهو ما يجعل السلطة ليست بمواجهة مع رفضها سياسياً فحسب، وإنما رفضها اجتماعياً واقتصادياً أيضاً.

عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

جانب آخر يقيق السؤال مركزياً أمام قوى الثورة، بمختلف اجنحتها، حيث لا توجد فرصة لاتصّار الثورة من دون تقديم إجابة عملية ولمسوسة عليه.

لقد أطاحت سنوات الثورة والثورة المضادة القوتين الفاعلتين ذات الوزن داخل الساحة السياسية في عصر مبارك: الحزب الوطني، الإخوان المسلمين. انهار وتفكك مع الثورة الحزب الوطني، حزب الدولة المجلسد لشبكة البيروقراطية ورجال الأعمال ورؤوس العائلات الريفيّة، ولم يعد قابلاً للاستعادة تحت أي مسمى، بعد تحول الدولة إلى إقطاعيات متناحرة، وهو ما ظهر بجلاء في الإنتخابات البرلمانية الأخيرة، أما الإخوان فأصيبوا بضربات قاصمة: قمع الثورة المضادة من ناحية، والعداء الجماهيري المستحق من ناحية أخرى، وصراعهم الداخلي المحتدم من ناحية ثالثة، ولم يعودوا يشكلون بديلا اليوم بأي معنى. وإلى جانب فلول الوطني والإخوان يوجد السلفيون، بعضهم مجرد مجموعات مباحثية مرتبطة بالنظام وتدار من مكاتب الأمن، والبعض الآخر، جهاديون انخرطوا في تحالف الإخوان، وتعرضوا لضربات قاصمة.

أما حركة التغيير التي لعبت الدور المركزي في كل النضالات طوال العقد الأول للألفية الثالثة وصولاً إلى الثورة، فلم تسلم هي الأخرى من عواصفها. حاولت أطرافها استقطاب جموع الشباب، إلا أنها لم تحقق سوى نجاحات محدودة، وظل الشباب باللايين غير منتمين وغير منظمين، على الرغم من الزخم السياسي الكبير الذي انخرطوا فيه. وهكذا، فشلت الحركة، وهي محورية، في توليد أحزاب جماهيرية، بينما تسببت منغصات الثورة في انقسام كبير داخلها ما بين جناحين، من الصعب أن يلقيا ثابته تحت راية واحدة، وإن كانا بالطبع مستمران في النضال المشترك حول بعض القضايا،كمعركة الجزيرتين.

الجناح الأول وسطي، يضم الناصريين والقوى الليبرالية واليسار التقليدي القديم، وهو جناح تواطأ مع الثورة المضادة، وغض الطرف عن المذابح والقمع حتى يتخلص من الإخوان. ويحاول اليوم استعادة دوره النضالي في مواجهة النظام وطرح نفسه كبديل، إلا أنه فقد الكثير من بريقه وشعبيته، الجناح الثاني ديموقراطي جذري، يضم تيارات اليسار الثوري، والمجموعات الشبابية، والفوضويين، والكتل الراديكالية المنشقة

تحمل النكتة تشبيها صادماً وغير لائق، لكنه إلى درجة كبيرة ملائم لوصف الحالة، الفشل الذريع، التدهور الحاد، انعدام الكفاءة، الضحالة التي تقترب من العتة، الكذب المفضوح والدعاية البهلاء.. الخ، صارت العناوين المتسقة مع أداء الدولة وأجهزتها ورموزها.

هكذا باتون يفتني معمل، يعطلونه زياً عسكرياً لواء جيش، ويضعونه أمام الكاميرات في مؤتمر صحافي عالمي، ليعمل اختراع جهاز يقضي على الإيدز! والصادم أن من أخرج المشهد، والمسؤول بالتالي عن الفضيحة، هو جهاز المخابرات الذي أعلن أحد رجاله (برتية لواء أيضاً) في برنامج تلفزيوني أن هناك مجلساً سرياً لإدارة العالم يقوم بتنظيم المناخ وإدارة المؤامرات الكونية؛ هذا المستوى من التردّي أصبح سمة كل الأداء الحكومي في مصر، التي باتت تحتل واحدا من المواقع الخمسة الأخيرة بين كل بلاد العالم، طبقا لتقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة، في مؤشرات نظام الصحة، والصحّة، والسكن، والبيئة، والشفافية، وغيرها. لقد أحرق تنظيم السيسي مراكبه بأسرع مما كان يتوقع أحد. تاكلت شعبيته، وانحصرت في قطاع ضيق من المنتفعين والجمهور المدعور من شبح الثورة، بينما بات أنصاره داخل مصر وخارجها يرونه عبثاً، بسبب فشله في مواجهة الفساد وتحقيق أي انتزاع اقتصادي ملموس، أو حتى وقف التدهور. بل عثقت سياساته من الفساد وتدهور الأحوال. هذا غير عجزه عن السيطرة على سيناء واتساع نطاق الحرب الأهلية داخلها، وهو أمر مزعج جدا لحلفائه الغربيين وقيادات جيشه، بالإضافة طبعا إلى ممارساته الدموية المفضوحة علانيا بدرجة لا يمكن لأحد أن يغض الطرف عنها.

البدائل؟

هذا في مجمله فتح الباب طوال الأسابيع الأخيرة للحديث عن البدائل، وهو سؤال دائم الإلحاح في مصر، عادة ما يرفعه أنصار النظام منذ عهد مبارك، لتعجيز الطامحين في التغيير بوضعهم أمام مغضلته، وهم يتجاهلون حقيقة أن غياب البدائل هو نتيجة سطوة النظام الاستبدادية وإغلاقه للمجال العام، أي أن هذا الغياب هو سبب للنقطة عليه، لكن على

عيد الكتاب.. عزاء المؤلف

هكذا شطبوا الجزء الأخير من عبارة اليوم العالمي للكتاب، لم يذكروا لنا التكملة التي تقول: .. وحقوق القارئ والمؤلف. لا يطيب الأمر لأغلب الناشرين داخل بلداننا العربية، حيث لا تكتمل أبداً صناعة الكتاب ما دامت العلاقات بين الناشر والقارئ والكاتب غير محترقة. وتبقى الإحتفالات والفعاليات الهامة بالقراءة ينقصها الكثير ما دامت هذه العلاقات غير واضحة.

حدثني اليوم ناشر عربي قدير أن طلابا العراق من الكتاب المشهور الذي ذاع صيته مؤخرا والذي نشرته دارنا لا تتعدى عشر نسخ، وآخر لال لي قبل أيام إن كتبيا واحدا من شارع

بيتونة

المتنبى أرسل طالبا خمس نسخ فقط من كتاب كذا الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

بصرف النظر عن حال المنشورات الورقية وتراجعها إزاء المحتوى الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي، فالتأمل الدقيق غير المتأثر بالدعايات المخبرنا عن مدى الزيف المطلق لانتشار الكتب في حياتنا. أفضل أن تشيع حالة التشاؤم هذه على أن نتفعل بالعراقي الذي يقرأ وبصورة الشابة التي تفتح لنا أمعاء حقيبتها ويداخلاها كتاب نصف مهضوم. أفضل أن نتحلى بقدر من الصراحة الصامدة.. حتى نجد أجوبة ملائمة لإحتفالات زائفة بالكتاب.

نص ورسم مرتضى كزار



السعودية في الإعلام المصري: شواهد وقرائن

إنّ ما يحدث داخل الغرف المغلقة وخلف الأبواب المصفحة لا يمكن لأحد من خارج هذه الأبواب أن يعلم بكافة تفاصيله، ولا يستطيع أحد مهما بلغ نفوذه أن يسمع إلا بما سمح له أن يغادر تلك الجدران من حديث من قبل الجالسين في الداخل. ولكن العقل البشري ليس إملانياً ينتظر أن يُعلمه أحد بكافة التفاصيل حتى يدركها، بل هو عقل نقدي يجمع الشواهد والتفاصيل البسيطة ليصل من خلالها إلى أكثر التفسيرات منطقية للمشاهد العام بالاستقصاء والتأمل في سير الأحداث.

وهكذا، ويتبع أداء الإعلام المصري تجاه تحركات المملكة العربية السعودية في المنطقة، ويفحص تناوله للشأن المصري في ما يخص العلاقات مع السعودية، سيتضح مدى توجُّل نفوذ المملكة داخل المنظومة الإعلامية في مصر.

ولكن نقطة البداية هنا هي الحملة العسكرية السعودية على اليمن، المسماة «عاصفة الحزم» والتي ترك الإعلام المصري - الخاص تحديداً - كل ما بيده للحدث عنها في مانشيتات الصفحات الأولى من زاوية المؤيد دون التعرض بالتحليل أو التساؤل لأبعاد العملية.

ولم يكن هذا التأييد من قبيل الغالبية العظمى من الصحف والبرامج الإعلامية المصرية يشبه تأييدهم للنظام المصري، فقد فاقت لهجة التحليل لعاصفة الحزم حتى لهجة تأييد الصحف للرئيس المصري والتي قد تشوبها التساؤلات أحياناً وقد تشكك في أحيان أخرى في هذا القرار أو ذلك التصرف.

تعدي دور صحيفة «المصري اليوم» مرحلة التأييد إلى مرحلة التمهيد، فبالإضافة إلى مزايدة الجريدة على الجميع حتى على المملكة السعودية ذاتها، بتسمية العملية العسكرية بـ «عاصفة العرب» بدلاً من «عاصفة الحزم»، وازاحة المملكة في موضع الدولة القائدة لسائر العرب، فقد قامت الصحيفة الأكثر رواجاً بين الصحف الخاصة بإجراء حوار مع وزير خارجية اليمن قبل أربع وعشرين ساعة من بداية الحرب، دعا من خلاله إلى التدخل العسكري الخارجي في بلاده في سبيل إنقاذها من أسماهم «العصابات».

بينما عنونت صحيفة «الوقد» الحزبية المصرية صفحتها الرئيسية بأكثر العناوين هزلية، فقد قررت الصحيفة أن تطلق على العملية اسم «حرب اليمن الثانية»، في محاولة لتشبيه التدخل السعودي في اليمن في العام الماضي بالدور المصري هناك عام 1962 والذي قاده عبد الناصر، حين قام بإرسال قوات إلى اليمن لمواجهة العدوان السعودي على ثورة الشعب

اليمني ضد الإمام البدر، وفي واقع الأمر، فإن الدور السعودي تشابه بين الحربين بالطبع، ففي المرة الأولى قاومت المملكة بالتمسك العسكرية قيام حركة تحريرية في اليمن، وفي المرة الثانية قررت أن تنحاز لفصيل يمني بوجه فصيل يمني آخر..

كما تحدثت «الشروق» في صفحاتها الأولى عن «حرب الشرعية» التي أطلقتها «القوى العربية» بقيادة المملكة على أرض اليمن لحمايتها، لتجاوز «عاصفة الحزم» و«عاصفة العرب» إلى «عاصفة الشرعية»! لم تختلف صحيفتا «الوطن» و«اليوم السابع» عن مثيلتهما في تلك التغطية كثيراً، ولكنهما لم تأتيا بجديد. وربما لم يخرج من تلك القافلة المهللة المحتفلة إلا صحيفة «التحرير» التي تناولت الأمر بمنطقية ومهنية، فقد كان عنوان تغطيتها للحرب هو «معركة تحرير أم حرب طائفية؟»، وتمحورت حول ذلك العنوان كافة مواد الجريدة لتجيب عليه بعرض رأي من يراها معركة تحرير، ومن يرى فيها حرباً غير مباشرة بين السعودية والنفوذ الإيراني في المنطقة على حساب اليمن أرضاً وشعباً.

ويمكن مقارنة مواقف تلك الصحف من كل خطوة تخطوها المملكة بالتأييد والاحتفاء، ومواقفهم المتشككة في الشأن المصري حتى بما يخص القرارات الرئاسية وتحركات الحكومة المصرية، سنجد أن مكابلي التناول الصحافي يبرزان أمراً ما ربما اتضح في الأونة الأخيرة: خلال زيارة الملك سلمان بن عبد العزيز الأخيرة إلى مصر، بل وقبلها بقليل، بدأت الصحف ذاتها في إقامة الأفراح والاحتفالات وبناء قصور السحاب عن تبعات تلك الزيارة، فكادت أن تقنعنا بأن لها مفعول السحر الذي سيزيد مصر مالاً وأرضاً ومكانة. وتطور الأمر من الحفاوة بكل خطوة يخطوها الملك على أرض مصر، إلى بداية نصب الاحتفالات بقرار إعادة ترسيم الحدود البحرية بين مصر والمملكة بضم جزيرتي «تيران» و«صنافير»، إليها على الرغم من كل الوثائق والخراطم التاريخية التي قُدمت، والسيادة المصرية الكاملة على الجزيرتين اللتين تعتبران المدخل الجنوبي لسيناء وخليج العقبة.

ومع الرفض الشعبي للاتفاقية، بدأت وسائل الإعلام المصرية تنبأ في إنبات سعودية الجزيرتين كما لو كان أمر حياة أو موت بالنسبة لكل إعلامي وصحافي، وكما لو كان أيضاً هناك من «يراقب» سلوكيات الإعلاميين تجاه تلك القضية لتقييمها، وذلك خارج الرقابة الحكومية المصرية نفسها والتي تحاول عليها الصحف من أن إلى آخر.

ودون الإشارة إلى كافة أقوال الإعلاميين ومانشيتات

الصحف المصرية، واستماتة الجميع في إثبات أحقية السعودية بالأرض، يمكننا أن نحصر الإعلاميين الذين رفضوا الأمر وناقشوه بشكل عقلاني في ثلاث، هم إبراهيم عيسى، ويوسف الحسيني ووائل الإبراشي، على الرغم من تأييدهم المعروف للرئيس السيسي، وهم تعرضوا على أثر ذلك لحملات الهجوم والتنشيط. لم يكتف رئيس تحرير جريدة اليوم السابع بالخروج في برنامجه على قناة «النهار»، معلناً تأييده الكامل للاتفاقية، بل هاجم كل من يعارضها بشدة وضراوة، ثم قام برفع الفيديو المحمي على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» ليقوم بعمل «تاغ» للصحفة الرسمية لسفارة المملكة السعودية بمصر، ربما لأنه مهتم بشدة لأن يشاهد «أحدهم» ما قاله في مقطع الفيديو.

ومؤخراً تقوم صحيفة «الوطن» المصرية برصد الحياة الشخصية لحمد بن سلمان وزير الدفاع السعودي ونجل الملك وولي ولي عهده، وتعرض الصحيفة صوراً شخصية له في مكتبه وقصره وتتحدث عن اتخاذها لقرارات تحد من نفوذ هيئة الأمر بالمعروف بالمملكة، وحديثه عن أحقية المرأة السعودية بقيادة السيارات وغيرها من الأمور التي تشبه حملة إعلامية شخصية. وبين كل هؤلاء، كان من المفردين خارج السرب د. أحمد السيد النجار رئيس تحرير جريدة الأهرام والذي رفض بشدة كل ما يخص ذلك الاتفاق، بل وزاد على ذلك احتجاجه عن الكتابة في جريدة المؤسسة التي يرأس مجلس إدارتها، واكتفى بنشر مقالاته على صفحته الشخصية على فيسبوك التي نقل فيها رؤيته الكاملة الواثقة من مصرية الأرض. ويذكر أنه كان للنجار موقف مشابه يخص التدخل السعودي في مصر أدى في النهاية إلى قيام مشاجرة بينه وبين سفير المملكة بمصر، وصلت إلى ما هو أبعد من مجرد المشادة الكلامية، وتزامنت مع بدايات الظاهرة التي تتناول شواهدنا الآن.

إن ما سبق ذكره هو شواهد وقرائن يجب إخضاعها للمنطق والعقل. بين تأييد أعمى للمملكة يفوق بمراحل تأييد الرئيس المصري نفسه، والذي أعلن استيائه كثيراً من انتقادات الإعلام لقراراته وتحركات حكومته وهنا فالسؤال هو: طلالاً لم تخش وسائل الإعلام تلك - أحياناً - انتقاد السلطة المصرية، فلماذا كل ذلك التأييد والاحتفاء بكل ما يخص المملكة، والذي وصل إلى حد التباري في إثبات «سعودية» أراضٍ مصرية؟

مايكل عادل
باحث من مصر

حلم..

ناصر ثامر / العراق



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- مشكلات أمام إصلاح التربية بالجزائر - محمد مرواني
- أتلونون حياتكم... أم حياة الناس؟ - أمينة خليل
- من حديث الكتب والمكتبات في العالم العربي - منى لأم
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

بمناسبة ذكرى تحرير سيناء: «مصر مش للبيع»



محمد شاهد - (ا ف ب)



يوم 25 نيسان/ ابريل 2016، عاد المصريون للتظاهر في الشارع، منددين مجدداً بسياسات السيسي وبتنازله عن جزيرتي تيران وصنافير للسعودية. تصدت لهم شرطة مكافحة الشغب بالغاز المسيل للدموع وألقت القبض على ما يزيد عن 160 شخصاً، بعضهم ما زال مكان احتجازه مجهولاً. سبق هذا، وعلى إثر تظاهرات «جمعة الأرض» قبل 4 أيام، مظاهرات للبيوت والمقاهي وتوقيفات شملت أكثر من 100 شخص.

مدونات

مراد سبيع (*) يرسم على جدران لندن

«يعاني اليمينيون اليوم الأمرين، من خوضهم هذه الصراعات بمفردهم، وتجاهل المجتمع الدولي والإعلام لما يواجهونه من قتل يومي، وحصار وتدمير للمنازل والمدارس والمستشفيات والبنى التحتية وتقييد الحريات وغيرها من الانتهاكات الخطيرة التي أتت بها الصراعات الداخلية والإقليمية في اليمن. إن اليمينيين يملكون بكل هذا في حين يدير العالم والمجتمع الدولي ظهره لهم».

جداريات الجديدة ضمن حملة «حطام» هي حول تجاهل المجتمع الدولي والإعلام للصراعات الداخلية والإقليمية في اليمن وغيرها من الدول، وهي موجودة على تقاطع طريق هاكني وشارع كريبير في مدينة لندن، بريطانيا..

(*) مراد سبيع فنان غرافيتي يمني حصل على جائزة «اندكس لحرية التعبير» العالمية

من صفحة Murad Subay (عن فايسبوك)

ليه دايما بنقول «العسكري الغلبان»؟

محدث فكر هو ليه العسكري الغلبان بقي غلبان؟ العسكري ده يظهر عليه الضعف وسوء التغذية لأنه من أسرة فقيرة في بلاد لا توفر أمناً غذائياً أو رعاية صحية كافية، ومكشكش تعليمه أو لم يتعلم أصلاً لأنه في دولة لا توفر خدمات التعليم الكافية.

طيب هو ليه العسكري الغلبان بيفضل غلبان؟.. لأن المجندين يقضوا طول مدة «خدمتهم الوطنية»، 3 سنين، من غير ما يتعلموا أي شيء مفيد، لا قرابة وكتابة، ولا صنعة أو حرفة ممكن تفيدهم. وقد يجدون أنفسهم يشتغلوا في مشاريع الجيش الاقتصادية، واقف على بنزينة أو محل مخبوزات أو قاعة أفراح. بدون ما ياخذ مليم زياده على ملايم مرتبه، واللي حظه أسوأ ممكن يلقى نفسه خدام عند الضابط أو عند العالمن مراته، ومفيش أي جهة تحميه لو الضابط أهانه أو ضربه (...)

حاليا خيرة قطاع كبير من الشباب اللي دخلوا الجيش سلبية، والنتيجة الأساسية للتجنيد بالنسبة لهم هي كسر نفسية المجند، وتذكيره طول الوقت إنه مالوش تمن ولا كرامة، وإن الدولة والنظام أهم منه ومن حياته. العقلية دي لازم تتغير. لازم شبابنا يحس أن التجنيد خدمة مشرفة ومفيده له زي ما هي مفيده للوطن (...)

من صفحة الموقف المصري (عن فايسبوك)

قدرة المجتمع الفلسطيني بالدفاع عن وجوده

تفجرت انتفاضة الساكنين الشعبية تجسيدا لقوة وقدرة المجتمع الفلسطيني على المقاومة الدفاعية عن وجوده، رغم التجريف والتفكيك المنظم لهذه القوة والقدرة المجتمعية عبر الوسائل العسكرية والثقافية والاقتصادية من قبل الأجهزة الاستعمارية الصهيونية و«الفلسطينية» والدولية. في مواجهة قدرة المجتمعات وحيويتها في الدفاع عن وجودها، لا تكتفي الأجهزة الاستعمارية بالقمع المباشر (القتل والإعتقال والهدم) وإنما تقوم دائما بمحاولة تعميق القمع وصولا إلى تحجيف منابع المقاومة (محرابة التحريض هو العنوان الرئيسي للقمع العميق). وهذا هو ما تقوم به في هذه الأيام الأجهزة الصهيونية وامتداداتها.

بالإضافة إلى تكثيف القمع الآتي لكي ينعم المستعمرون بعطلة هائلة في أعياد الربيع الصهيونية في ربوع وطننا السلوب... عادة ما يشعر المستعمرون بالنشوة، ويعلنون بحمق متسع أنهم قد نجحوا في قمع المقاومة «وأن الأحداث تشهد تراجعاً إحصائياً»، وعادة ما تكون ضربات المقاومة الأشد إيلافا ومصفاً هي التي تأتي بعد هذه النشوة. هذا ما يخبرنا به تاريخ شعبنا خلال مئة عام من صراعه مع المشروع الصهيوني .

من صفحة Khaled Odetallah (عن فايسبوك)